محمد رضوان

ناقداً ومؤرخاً أدبياً

بقلم د. ماهر شفيق فريد

فى شهر مارس ٢٠١١ صدر كتاب «أحمد خميس شاعر الروابى الخضره» للأديب الناقد محمد محمود رضوان وهو أحدث حلقة فى سلسلة مؤلفاته التى اطرد صدورها منذ أكثر من ثلاثين عاماً وشكلت إضافة غنية إلى حقل الدراسات الأدبية فى مجال الشعر العربى الحديث فى مصر وذلك - بخاصة - فى النصف الأول فى القرن العشرين من اهتمام خاص بشعراء مدرسة أبوللو وما أعقبها من امتدادات.

وأحمد خميس «١٩٢٥-٢٠٠٨» - الذى شدا محمد عبدالوهاب بقصيدته «الروابى الخضر» وعرفه الكثيرون ممثلاً سينمائياً وتليفزيونياً ومذيعاً أكثر مما عرفوه شاعراً من أكبر ممثلى المدرسة الوجدانية فى الشعر المصرى لم يلق شعره التقدير الذى يستحقه ولم يظفر قط بجائزة من هذه الجهة أو تلك مما يجعل من كتاب محمد رضوان تصحيحاً - جاء فى وقته - لوضع خاطئ وإزالة لظلم لحق بفنان متمكن من أدواته، عارف بلغته، قادر على التواصل مع قارئه دون تعمية أو معاظلة .

ويسلك محمد رضوان فى هذا الكتاب منهجه الوجدانى - الذى يجمع بين التحليل الموضوعى والاستجابة العاطفية، ولا يخشى أن يتهم بالانطباعية أو الذاتية فهو

(١) د. ماهر شفيق فريد: ناقد أدبى ومترجم وقاص «مواليد القاهرة ١٩٤٤» من مؤلفاته: فى الشعر الإنجليزى المعاصر، ممالك الذهب - فى الأدب والنقد.

يحرص على أن نتلمس نبضات قلب الشاعر المدروس، وأن يعيش خبرته الوجدانية من الداخل. وأن ينقل إلى القارئ ما انطبع على صفحة روحه من تجربته الفنية.

وعلى هذا يؤكد رومانسية خميس الغنائية بوصفها مفتاح فهمه، وسيرته وثقافته، واستحضاره للشخصيات التاريخية، وشعره فى الحب، ورباعياته التى تستحق المقارنة برباعيات الخيام، ويشفع هذا بمختارات من شعره الوجدانى والتأملى والوصفى.

وقبل هذا أصدر محمد رضوان كتيباً عن «شاعر ليالى الهرم صالح جودت» «عدد خاص من مجلة الثقافة الأسبوعية ٣ يوليو ١٩٧٥» تتبع فيه مؤثراته الوراثية. وقراءاته التى كونته، ودراساته، واتصاله بجماعة أبوللو، ودور المرأة فى حياته وعمله، وصدقه الفنى، واستخدامه للصورة الشعرية.

وفى السياق نفسه أصدر كتاباً عن شاعر الكرنك أحمد فتحى، وشاعر الأطلال إبراهيم ناجى وشاعر الجندول على محمود طه المهندس. كما خص صالح جودت بدراسة أخرى معمقة عنوانها «شاعر النيل والنخيل».

ويرتد محمد رضوان إلى الوراء قليلاً فى الزمن فيخرج طبعة محققة لديوان شاعر البؤس عبدالحميد الديب «١٨٩٨ - ١٩٤٣» قدم لها فارق شوشة «المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٠» وكان رضوان قد أخرج عنه كتاباً عنوانه «فليسوف الصعاليك عبدالحميد الديب» «مركز الراية بالقاهرة ١٩٩٩». وفى مقدمته للديوان - وهى تستحق أن تقوم دراسة قائمة برأسها - استعرض سيرته وبؤسه وصعلكته وإدمانه الخمر ثم الكوكايين وما عاناه من حرمان وزواجه ووطنيته وحياته فى الوظيفة ثم نهايته المؤسية بعد حياة قصيرة فى حساب الزمن ولكنها أنتجت شعراً نابضاً «بالحرارة والصدق والعذاب».

ومن الشعر ينتقل محمد رضوان إلى النثر فيخرج كتاباً عنوانه «صفحات مجهولة

من حياة زكى مبارك» (كتاب الهلال أكتوبر ١٩٧٤) وهو - على حد تعبير صالح جودت كاتب مقدمته - كتاب «تتعادل فيه روح الوفاء مع روح البحث «هنا يرى رضوان أن مفتاح شخصية مبارك (١٨٩١-١٩٥٢) هو «الصدق» الفنى والأخلاقى وتحدث عن حياته وثقافته، ودور المرأة فى إبداعه، وملامح شخصيته، ومعاركه الأدبية، ومأساته عاشقاً للجمال حتى النفس الأخير، كما كتب عن السندباد الطائر أنيس منصور «دار المعارف ١٩٨٣». وفى فترة أحدث أخرج رضوان كتاباً نفيساً - على وجازته - عن «مصطفى محمود مشوار العمر» (سلسلة اقرأ، دار المعارف ٢٠١٠) أود أن أتوقف عنده وقفة قصيرة هنا.

كان مصطفى محمود «١٩٢١-٢٠٠٩» ظاهرة متميزة فى حقلنا الأدبى بما هو طبيب أديب، جمع بين المعرفة العلمية والذوق الأدبى، ومر فكره بتطورات درامية من مرحلة الشك فى كتابه الأول «الله والإنسان» (١٩٥٧) حتى مرحلة الإيمان الذى يوشك أن يكون صوفياً، وقد رصد محمد رضوان هذه المراحل كلها متوقفاً عند إنجازات مصطفى محمود الأدبية. ورحلته نحو اليقين، ومعاركه الفكرية، وسجاياه الإنسانية، وتأملاته الفكرية، وجمعه بين العلم والإيمان.

وإذا تركنا كتابات محمد رضوان عن كتاب أفراد فربما كان خير مدخل إلى فكره النقدى هو كتابه الممتع المسمى «رحلتى مع القلم» وقد صدر فى مسقط، عاصمة سلطنة عُمان سنة ١٩٨٤، وقدم له السفير الشاعر الأديب أحمد عبدالمجيد، وكتابه أشبه بسيرة أدبية، أو ترجمة لجوانب من حياته من منظور الأدب، وذلك منذ شب فى قرية «الجمالية» بمحافظة الدقهلية المطلة على البحر الصغير حتى بدأ يكتشف عالم القراءة السحرى، ثم أقام بالقاهرة والتحق بكلية دار العلوم حيث كانت فترة دراسته الجامعية بها «١٩٦٦-١٩٧٠» من أخصب سنوات حياته وأحفلها بتجارب الأدب

والفن. ويروى لنا كيف اتجه إلى أدب السير والتراجم منذ وقع فى يده ديوان إبراهيم ناجى «ليالى القاهرة» فى عام ١٩٦٢ تقريباً، ثم قرأ كتاب صالح جودت عن ذلك الشاعر الطبيب.

ويسجل محمد رضوان ذكرياته عن أعلام عرفهم مثل أنور الجندى وتوفيق الحكيم وأحمد حسن الزيات وصالح جودت ويوسف السباعى وإبراهيم المصرى وأنيس منصور وأحمد عبدالمجيد وعبدالعليم القبانى ومحمود البدوى ورستم كيلانى وإبراهيم عبدالحميد عيسى وأحمد خميس ومقداد يالجن ومحمد الجيار.

وتستغرق النصف الثانى من كتابه دراسات عن ناقدنا بأقلام صالح جودت وأنيس منصور وسعد حامد وحلمى القاعود ونبيل راغب وعبدالعليم القبانى والمفكر التركى مقداد يالجن وإبراهيم عيسى وأحمد عبدالمجيد وكمال النجمى ألقوا فيها الضوء على مؤلفاته «وبخاصة كتبه عن زكى مبارك وعبدالحميد الديب وناجى وصالح جودت وأحمد فتحى وعلى محمود طه وأنيس منصور فضلاً عن كتابه عن أبطال الإسلام ومنهجه فى كتابة السير والتراجم.

وطبيعى أن يخوض محمد رضوان - فى حياته الأدبية التى توشك أن تغطى أربعة عقود - عدداً من المعارك الأدبية، تميز فيها بسطوع الحجة، وبلاغة القلم، وعفة اللسان.

وفى زمن جنح فيه النقد الأدبى إلى الوعورة والمعاظلة، حتى صار الناقد منفراً لا مبشراً، تبرز كتب محمد رضوان ومقالاته نموذجاً للوضوح الجميل، والبساطة التى لا يعوزها العمق، وإشراق اللغة، والتمكن من تراث العربية شعراً ونثراً مع نزوع إلى التجديد دون تطرف، وحفاظ على الموروث دون جمود، وستظل حياتنا الأدبية مدينة له بإزالته الغبار عن قيم أدبية لم تلق فى عصرها ما تستحقه من تقدير وإكبار فهو - إذا استعرنا كلمة شوقى فى رثاء حافظ - منصف الموتى من الأحياء، أو هو - كما يقول

فاروق شوشة – قد «وقف قلمه على إنصاف كثير من الأدباء والشعراء، ونشر المجهول من أعمالهم الإبداعية وإعادتهم إلى قلب الذاكرة الأدبية» كما يقول الشاعر فاروق شوشة فى كتابه «جمر الكتابة»، المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة سنة ٢٠١٠، ص١١٧).

واليوم.. وفى إطار سعيه الدائب إلى استنقاذ تراث الكتاب والشعراء الموهوبين الذين سقطوا – أو كادوا – من الذاكرة الأدبية، يقدم محمد رضوان هذا الكتاب عن «شاعر الهمسات أحمد عبدالمجيد» وموضوعه هذا الشاعر الدبلوماسى الذى قد لا يعرف الكثيرون أنه مؤلف الأغانى الراقية التى تغنى بها محمد عبدالوهاب، كلنا نحب القمر، مريت على بيت الحبايب، خايف أقول اللى فى قلبى، حسدونى وباين فى عنيهم.

ولم يكن أحمد عبدالمجيد (١٩٠٥–١٩٨٠) شاعراً من أكبر ممثلى التيار الوجدانى فى الشعر العربى، إذا استخدمنا تسمية الدكتور عبدالقادر القط للحركة الرومانسية، فحسب، وإنما كان أيضاً صاحب أبحاث سياسية وكتب عن أحمد شوقى وعن فن الأغنية، وعدد من الكتب المترجمة فى السياسة والأدب والتاريخ.

ولأحمد عبد لمجيد كتاب عنوانه «سندباد دبلوماسى» (سلسلة اقرأ، ديسمبر ١٩٧٣) أهداه إلى شريكة حياته وضمنه فصولاً عن خبراته فى السلك الدبلوماسى وعمله فى اليونان والولايات المتحدة الأمريكية وفلسطين والأردن وميلانو ولبنان وتركيا وألمانيا الغربية وسوريا وروما وبلغاريا، وفى ديوان وزارة الخارجية المصرية وفى جامعة الدول العربية.

وله كتاب عنوانه «أضواء على الدبلوماسية» كتب عنه يحيى حقى فى جريدة المساء ٢٦/ ٧/ ١٩٧٠ فقال عن مؤلفه: «إنه شاعر رقيق له ديوانان أولهما «همسات» وثانيهما «أوراق الخريف» يتمثل فيهما الشعر وهو يتخلص من الذوق الكلاسيكى إلى الذوق الحديث».

وكتابه الآخر فى سلسلة اقرأ «عام ١٩٧٦» «رحلة مع الظرفاء» (وقد كان هو ذاته يحسب فى عدادهم) يبدأ بتوطئة عن عالم الفكاهة والمجون، ناظراً إليهما فى ضوء العلم والفلسفة، وعلاقة الفكاهة بالأدب فى جميع عصوره، وأدب الفكاهة فى المسرح والشعر وفن التصوير، وفى الأدب والصحافة، وأعلام الفكاهة فى الغرب مثل برنارد شو ووايلد وتشرشل وساشا جترى ومارك توين والفكاهة بين الموسيقيين والسياسيين، وأعلام الفكاهة فى التراث العربى وفى مصر حيث يتوقف عند حافظ إبراهيم وإمام العبد وعبدالعزيز البشرى وحفنى ناصف وأحمد رامى وأم كلثوم ومحمد البابلى وحسين الترزى، ومجالس الظرفاء، واستخدام الفكاهة فى نقد الأوضاع السياسية والاجتماعية.

ويبدأ محمد رضوان كتابه عن أحمد عبدالمجيد بسرد أهم المعالم فى حياته، والمؤثرات الأدبية التى دخلت فى تشكيل موهبته، ثم يتناول ملامح شخصيته، والحب فى حياته، ودوره فى تطوير الأغنية المصرية، ثم يختتم الكتاب بمختارات سخية من شعره تكشف عن الصدق الوجدانى لهذا الشاعر ومزايا فنه الشعرى من صور وموسيقى ومعان مبتكرة.

ويزداد الكتاب قيمة بما حوى من مراسلات شخصية بين أحمد عبدالمجيد ومحمد رضوان، ومختارات من ديوان عبدالمجيد المخطوط وعنوانه: «نجوى»، وهو مفقود لم ينشر بعد، ولكن رضوان أتاح لنا إطلالة على ما فيه وأورد منه قصائد كاملة.

ومن أهم الآثار التى حققها محمد رضوان الأعمال الكاملة لشاعر الجندول على محمود طه المهندس (١٩٠١-١٩٤٩) فى ثلاثة مجلدات صدرت عن الهيئة العامة لقصور الثقافة (عام ٢٠١٠) وقد ضمت دواوين: الملاح التائه/ ليالى الملاح التائه/ زهر وخمر/ الشوق العائد/ شرق وغرب، ومسرحيتين شعريتين: أرواح وأشباح/ أغنية

الرياح الأربع، فضلاً عن عدد من القصائد المجهولة لم تكن فى متناول القارئ من قبل.

وعلى محمود طه - إلى جانب إبراهيم ناجى - هو أكبر شعراء الحركة الرومانتيكية فى مصر فى ثلاثينيات القرن العشرين وأربعينياته، وأحد أعلام مدرسة أبوللو، وقد كتب عنه الدكتور طه حسين عام ١٩٣٤ يقول: إن شخصيته الفنية فيها خفة الروح، وعذوبة النفس، وفيها هذه الحيرة العميقة، الطويلة العريضة، التى لا حد لها، كأنها محيط لا يوجد على الأرض.

وفى المجلد الأول من الأعمال الشعرية صوب المحقق عدداً من الأخطاء اللغوية والعروضية للشاعر مما يشهد بتمكن محمد رضوان من علوم العربية من نحو وصرف وعروض وأهليته للعمل الذى أخذه على عاتقه.

والمفاجأة الشائقة التى يفاجأنا بها محمد رضوان هى أنه جمع أيضاً عام ٢٠١٠ الكتابات النثرية لشاعر الجندول على محمود طه، وفيها حكايات من وحى رحلاته الأوروبية ومغامراته النسائية وزيارته لمنزل الموسيقار الألمانى رتشارد فاجنر فى تربيش بمقاطعة لوسرن، وترجمته مقالة عن الأدب الإنجليزى الحديث للكاتبة الإنجليزية ربيكا وست، ودراسات عن الشعراء بول فرلن وشارل بودلير وأحمد شوقى، وترجماته نماذج من الشعر الفرنسى والإنجليزى والأمريكى لبودلير ودى موسيه وأوزبرت سيتول وإدنا فنسنت ميلارى وغيرهم، وتأملاته - الأقرب إلى الشعر المنثور - فى الليل والحب والشعر.

وثمة شاعر آخر من شعراء مدرسة أبوللو، أو من شبابهم، يشارك على محمود طه منزعه الآبيقورى، وجه إليه محمد رضوان اهتمامه فى أحدث إصداراته، وذلك فى كتابه المسمى صالح جودت: شاعر الحب والحرية: حياته - شعره - قصائده المجهولة - (مكتبة جزيرة الورد ٢٠١٢) حيث أدرج دواوين جودت الستة: ديوان صالح جودت

(بمقدمة للدكتور أحمد زكى أبو شادى) (١٩٣٤) ليالى الهرم (١٩٥٧) أغنيات على النيل (١٩٦٢) حكاية قلب (١٩٦٥) ألحان مصرية (١٩٦٧) الله والنيل والحب (١٩٧٣).

ووطأ رضوان للكتاب بمقدمة عن صالح جودت (١٩٠٨-١٩٧٦) شاعراً وإنساناً، وزود القصائد بهوامش مفيدة، وأدرج قصائده المجهولة التى لم تجمع فى دواوين أثناء حياته، كما أورد ترجماته «نظما» لقصائد من الشاعر الفرنسى ألفرد دى فينى، والشاعرة الأمريكية إيلا ويلر ولكوكس «وهى من شعراء الدرجة الثالثة»، وفرانشسكو إبروبيللو الذى كان سفيراً للأرجنتين فى القاهرة، فضلاً عن ترجماته لقصائد «مكتوبة أصلاً بالفرنسية» لتوفيق الحكيم وسلوى حجازى وعلية فهمى.

والكتاب امتداد لعملين سابقين عن صالح جودت لرضوان هما: شاعر ليالى الهرم صالح جودت «عدد خاص من مجلة الثقافة الأسبوعية ٣ يوليو ١٩٧٥ وصالح جودت شاعر النيل والنخيل ١٩٧٧، وخيوطه الرئيسية، كما يلخصها رضوان هى: الله، والحب، ومصر والعروبة.

وصف الدكتور محمد مندور فى الحلقة الثالثة من كتابه فى الشعر المصرى بعد شوقى، صالح جودت بأنه «شاعر عابث لعوب يشف عن روح الصالونات المصرية، وما يجرى فيها من دعابات غزلية عابثة» (من عجب أن ينحاز هذا الشاعر الحسى إلى طلعت حرب المحافظ ضد قاسم أمين المتحرر فى مسألة الحجاب محذراً من «عبث اللبؤة إن نام الأسد» وهذه إحدى المفارقات الكثيرة فى عمله وشخصيته).

وقال عنه مصطفى عبداللطيف السحرتى فى كتابه «دراسات نقدية» (١٩٧٣) إن «حبه للمرأة لم يكن حباً أفلاطونياً، ولا حباً فكرياً، ولا حباً عاطفياً، ولكنه حباً شهوياً، لإنه يرى أنه الحب الحقيقى».

وفى كتاب -»كوكبة من شعراء العصر» (١٩٩٥) كتب الدكتور بدوى طبانه: إنه

فى الطليعة من شعراء العربية الذين يجيدون فى الوصف الذى قل فيه المبدعون، فإن له قدرة فائقة على التأنق فى رسم لوحات فنية ناطقة فى شعره الوصفى».

ولكاتب هذه السطور تحفظات كثيرة على صالح جودت، خاصة فيما يتصل بموقفه، من الشعر الجديد، ومعاركه مع مفكرى اليسار والشعراء القرامزة كما كان يدعوهم.

لكن هذا كله لا يلغى إقرارى بموهبة جودت الشعرية الكبيرة، وجرأته الفكرية فى مبتدأ حياته - بخاصة - كما تتمثل فى قصائده «الإنسان الأول» و«الراهب المتمرد»، و«دين جديد» (على نحو يذكرنا بجرأة الزهاوى صاحب «ثورة فى الجحيم» والعقاد صاحب «ترجمة شيطان»، وله قصيدتان على الأقل ستظلان ترددان فى الأسماع ما بقى للطرب الأصيل مكان فى الأرواح والعقول والنفوس: «يا زهرة فى خيالى» التى تغنى بها فريد الأطرش و«قاهرتى» التى تغنت بها فايزة أحمد.

ويحسب لصالح جودت إلى جانب الكتب التى ترجمها عن الإنجليزية والفرنسية، وأعماله القصصية، كتاباته النقدية عن الشعر العربى قديماً وحديثاً، مثل كتابه «شعراء المجون»، «كتاب الهلال»، ديسمبر ١٩٧٢، لقد وافق شنن طبقه هنا، فهو يكتب عن موضوع حبيب إلى نفسه، يحسن الكتابة فيه، إنه يتناول، أبو دلامه، وأبو نواس، وبشار بن برد، وحماد عجرد، وعمر بن أبى ربيعة، وشعراء المجون فى العصر الحديث، والشعر الضاحك المعاصر الذى كتبه أمثال شوقى والشاعر القروى وأحمد رامى ومحمود غنيم، وناظمى الشعر الحلمنتيشى.

وفى كتابه «م.ع. الهمشرى»: حياته وشعره (١٩٠٨-١٩٣٨) يتناول هذا الشاعر فى طفولته وصباه ويفاعته وصدر شبابه وتأثره بشعراء الحب والطبيعة من الرومانتيكيين الإنجليز، ثم دخوله معترك الحياة الأدبية فى القاهرة، وانضمامه إلى جماعة أبوللو، وقصص حبه، وعمله فى مجلة التعاون، وترجمته قصيدة كبلنج المسماة «إذا»، وتأثره

obeikandl.com

بفكرة المدنية الريفية عند الشاعر الأيرلندى جورج رسل، وحبه للريف وتصويره له فى قصائده، ووفاته فى ريعان الشباب عند إجراء جراحة إزالة الزائدة الدودية.

وخلاصة رأيى الشخصى أننا إذا استبعدنا بعض قصائد جودت «الوطنية» عن عبدالناصر ثم السادات وغيرها من قصائد المناسبات - زائلة القيمة - من أخوانيات وتهنئات ومراث، لخلص لنا من حياته فى الشعر قصائده الوطنية عن مصر وقصائده الغزلية التى تستحق أن تدخل ديوان الشعر العربى الخالد، مثل بعض قصائد أبو نواس وعمر بن أبى ربيعة ونزار قبانى وسائر إخوان ذلك الطراز.

ويسلك الأديب الناقد محمد رضوان فى دراساته النقدية التاريخية لأعلام الشعر العربى المعاصر منهجاً وجدانياً يجمع بين التحليل الموضوعى، والاستجابة العاطفية، يغلب عليها طابع الذاتية، فهو يحرص على أن نتلمس نبضات قلب الشاعر المدروس وأن يعيش خبرته الوجدانية من الداخل أو كما يقول عنه السفير الشاعر أحمد عبدالمجيد (١٩٠٥-١٩٨٠) فى مجال تقيمه لمنجهه الوجدانى:

«حين يتولى محمد رضوان كتابة سيرة لشاعر من الشعراء نراه يدلف إلى روحه ويتسرب إلى حياته وما اضطرب فيها من حال إلى حال ويتشح برداء عصره الذى عاشه، ويتنسم ما كان يستنشقه فتجئ ترجمته كظل الغصن أو رجع الصدى». فالنقد - وإن ضرب بسهم فى مناهج العلم المنضبطة - يظل أقرب إلى الفن، أنه كما قيل بحق إبداع مواز.

ومحمد رضوان فى دراساته التحليلية النقدية التأريخية كان ناقداً فناناً فى رهافة حسه وتفتحه على التجارب الإبداعية المختلفة.

فناناً فى فطنته إلى ما تقوله السطور وما تسكت عنه.

فناناً فى قدرته على التمييز بين الجواهر الأصلية والجواهر الزائفة.

obeikandi.com

محمد محمود رضوان ناقد جمالى ينفذ بروحه الرحبة إلى تذوق الفن الجيد، فبفضل استبصاراته وتحليلاته أنار لنا من زوايا الأدب والفن وما كان مظلماً ومجهولاً مما مكننا أن نتذوق نماذج من الشعر العربى المعاصر على نحو أعمق وأصدق وأرهف، كما اتصف العديد من الشعراء والأدباء أمثال على محمود طه، وأحمد فتحى، وصالح جودت، وأحمد خميس، وعبدالحميد الديب وغيرهم فقام بدراسة سيرهم وإبداعهم كما قام بجمع وتحقيق أعمالهم الإبداعية المعلومة والمجهولة، فأنصفهم وأتاح لنا أن نقرأ سيرهم وأعمالهم الكاملة، فأنقذها من الضياع والنسيان.

القاهرة ٢٠١١

ماهر شفيق فريد

Obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

شاعر الهمسات الملونة!

بقلم: محمد رضوان

عرفت الشاعر أحمد عبدالمجيد أول ما عرفته عن طريق الراديو، إذ كنت أستمع لبرنامج إذاعى يومى يقدمه الشاعر المذيع فاروق شوشة بعنوان «لغتنا الجميلة» من إذاعة القاهرة، ولفتت نظرى مختارات شعرية للشاعر أحمد عبدالمجيد يقرؤها بصوته الهامس من ديوان الشاعر «همسات» وسعيت لاقتناء هذا الديوان الحالم ووجدته فى دار المعرفة بشارع جركس بالقاهرة وعكفت على قراءة الديوان بنهم وشدتنى موسيقاه الحالمة، وصياغته المشرقة وأسلوبه العذب السلس ولم أعرف عن الشاعر شيئاً سوى الكلمات القليلة التى قدم بها الشاعر أحمد رامى للديوان وعلمت منها أن الشاعر أحمد عبدالمجيد عمل بالسلك الدبلوماسى لمدة ثلاثين عاماً بين مختلف الأصقاع والقارات، حتى استقربه المطاف فى القاهرة عام ١٩٥٩ كمندوب دائم لمصر فى الجامعة العربية.

وبعدها صممت على محاولة الالتقاء به، وأمسكت بدليل الهاتف فوجدت عدة أشخاص يحملون اسم أحمد عبدالمجيد فوجدته بنفسه يرد على تليفونى بكل الود والكياسة وشرحت له رغبتى فى الالتقاء به لعمل دراسة سريعة عن شعره حيث كنت أراسل مجلة الأديب البيروتية وأنا حينئذ مازلت طالباً جامعياً بجامعة القاهرة.

وقابلته لأول مرة فى كازينو «لاباس» بشارع قصر النيل بالقاهرة وعرفته دون

سابق معرفة، وكان ذلك فى شهر يناير عام ١٩٧٠ واستمر اللقاء لأكثر من ثلاث ساعات تطرق فيه إلى ذكرياته الأدبية وسيرته الذاتية والشخصيات التى عرفها ابتداءً من أحمد شوقى وأم كلثوم إلى الموسيقار محمد عبدالوهاب والشاعر أحمد رامى وحدثنى عن قصة غناء محمد عبدالوهاب لمجموعة من أغانيه الدارجة مثل:

«مريت على بيت الحبايب» و«يا ترى يا نسمة» و«خايف أقول اللى فى قلبى» و«ماكانش عالبال تشغل بالى» وأطلعنى على مشروع قصيدة عاطفية جديدة كتبها خصيصاً لتغنيها كوكب الشرق أم كلثوم بعد أن وافقت على كلماتها، ولكن فيما بعد حالت الظروف دون غنائها لهذه القصيدة.

ثم تكررت لقاءاتنا بعد ذلك فى «كازينو لاباس» و«كازينو استرا» ومقهى «على بابا» - بميدان التحرير - وكانت لقاءاتنا تستمر لساعات وكنت أقوم بتسجيل ما يقوله ويرويه عن ذكرياته الأدبية وكان يهدينى كل كتاب يصدر له بل كان يطلعنى على أصول كتبه المخطوطة قبل إصدارها مثل كتبه:

«لكل أغنية قصة» و«سندباد دبلوماسى» و«عالم الأحلام» والكتاب الأخير لم يصدر حتى الآن.

وبعد أن سافرت إلى عمان عام ١٩٧٦ لإصدار مجلة السراج أقنعته بأن يكتب للمجلة ذكرياته الأدبية تحت عنوان «للشعر عندى حكاية» ونشرت له بالمجلة عدة حلقات ولكن ظروف احتجاب المجلة حالت دون نشر بقية الحلقات.

وأثناء ذلك كانت المراسلات الأدبية بيننا مستمرة وكان يشكو لى من جمود الحياة الأدبية والصراعات الشخصية وضيقه بالأضواء والشهرة وايثاره للعزلة والهدوء، وكان يبعث لى بين الحين والآخر بآخر قصيدة كتبها.. وكان كعادته يتفرغ للقراءة والكتابة فى شقته بشارع قصر العينى التى كان يعيش فيها مع زوجته - حيث لم ينجب-.

وكان فى الصباح يخرج ليقابل بعض أصدقائه ويجلس معهم فى أحد المقاهى الراقية بوسط القاهرة ويعود لبيته ظهراً ليتناول الغداء ولا يخرج مساء حيث يعكف على القراءة والكتابة وسماع الموسيقى ومشاهدة بعض برامج التليفزيون.

وكان فى رسائله لى يروى بعض أطياف ذكرياته هنا وهناك ويحثنى على الصبر وقوة الإرادة فى ديار الغربة ويدعونى إلى التفاؤل وكان أجمل ما يتمناه لى أن يرانى عاكفاً على إصدار كتبى الأدبية وتنفيذ مشروعاتى فى مجال النقد والدراسات الأدبية.

ومرت الأيام والشهور والسنوات وعدت إلى القاهرة فى مطالع عام ١٩٨٠ وقابلته وكان لقاء ودياً زاخراً بالمشاعر الطيبة، ثم حالت ظروف العمل دون انتظام لقاءاتنا مثلما كان يحدث فى السبعينات.

واستغرقنى العمل فى دار الهلال وارهاقى فى المواصلات خاصة لبُعد المسافة بين العمل ومسكنى الكائن يومئذ بضاحية مصر الجديدة مما تعذر معه رؤيته بانتظام.

وفى العاشر من أكتوبر سنة ١٩٨٠ فوجئت بنبأ رحيله عن عمر يناهز الخامسة والسبعين من عمره وحزنت عليه حزناً شديداً، وذهبت لزوجته ورفيقة رحلته العابرة لأواسيها فى فقد هذا الإنسان صاحب القلب الكبير.

وكان على أن أبر بوعدى وأنجز دراستى عن حياته وشعره.. فكانت هذه الدراسة الأدبية لحياته وشعره، طاقة ورد لروحه الطاهرة النقية.

ومن المهم أن أذكر للقارئ أن السفير الشاعر قد اطلع على مسودة هذه الدراسة بعد انجازها حوالى عام ١٩٧٥، وعدل فيها بقلمه بالحذف والاضافة، وقد حذف كل ما يتصل بخصوصياته مما يراه تجاوزاً فى الكشف عن بعض شئونه الخاصة أو أثر المرأة فى حياته، خاصةً إذا عرفنا أنه كان زوجاً مثالياً يحمل لرفيقة عمره كل مشاعر المودة

والحب والاعزاز، ولكننى لمست من خلال معايشتى له فى سنواته العشر الأخيرة أنه كان يشعر بحنين جارف بالأبوة لأنه حرم من الأولاد، وفى سنواته الثلاث الأخيرة شعر بهذه العاطفة الغلابة نحو سيدة شابة لم يكن يطلب منها سوى شعور الابنة نحو أبيها، ولكن غيرة الزوج ثم سفرها معه إلى الخارج وقطع المراسلات مع هذا القلب الحساس، جعله يشعر بالاحباط والاكتئاب والأسى.

وكانت رسائله الخاصة لى تفصح عن أحاسيسه الحزينة ومشاعره الجياشة لحرمانه هذه الابنة التى حرم منها على كره وهو فى أشد الحاجة لمثل هذا الشعور فى خريف عمره ويخيل لى أنه رحل عن هذه الحياة وهو يشعر بالأسى والحزن والاحباط.

إن هذه الدراسة السريعة لا تكفى بالطبع لتغطية حياة أحمد عبدالمجيد وتحليل أدبه وتقييمه، ولكن يكفى أنها نبهت إلى آثار هذا الأديب الموسوعى وألقت الأضواء على حياته وأدبه من خلال معايشتى له ومراسلاتنا الأدبية وجلساتنا المطولة التى روى لها فيها كل ما يتصل بسيرته وحياته والمراحل التى مر بها وأثر المرأة فى حياته بكل الصدق والأمانة والموضوعية.. فلتكن هذه السيرة الأدبية تحية ود وتكريم لروح هذا الرجل الإنسان الذى أعطى الكثير ورحل دون أن يشعر به أحد.

***

وبعد، فهذه لمحات من حياة أحمد عبدالمجيد، وشعره، ويبقى أن تبادر الهيئات الأدبية والثقافية بمصر لإعادة طبع تراث هذا الأديب الكبير، ونشر مؤلفاته المخطوطة خدمة للأدب والتاريخ بقدر ما أعطى وبذل هذا الرجل للفكر ولمصر وللأدب العربى المعاصر.

القاهرة سبتمبر ٢٠١٦ — محمد رضوان